

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعة 19/9/1445 الموافق ل 29/3/2024

قال تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ

مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)

وقال سبحانه: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ

أَنْفِقْ عَلَيْكَ" وَقَالَ: "يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ"، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. فَإِنَّهُ لَمْ

يُغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ».

عنوان الخطبة: (آليات التكافل الاجتماعي في الإسلام – النفقات)

أيها الإخوة:

التكافل الاجتماعي: هو كفالة الحاجات الضرورية لكل فرد من أفراد المجتمع.

وذلك بأن يكفل المجتمع لكل فرد من أفراد حاجاته الضرورية من غذاء وكساء ودواء وسكن وزواج ودلالة على الخير والصواب.

يأبى الإسلام أن يوجد في المجتمع من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يزينه ويواريه والمسكن الذي يؤويه، فهذه ضروريات يجب ان تتوافر لكل من يعيش في ظل الإسلام، والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضرورات وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه، ولا يدعه فريسة الجوع والعري والمرض والجهل والمسكنة.

وضع الإسلام آليات للتكافل بين الناس منها الوقف، والزكاة، والوصية، والميراث، والكفارات، والعارية،

والأضحية، والقرض الحسن، والعقيقة، والهدية، والصدقات.
ومن أهم آليات التكافل الاجتماعي النفقات
أيها الإخوة:

تحدث كتب الفقه الإسلامي في باب كبير من أبوابها عن
النفقات، فكما أن تلك الكتب تحوي باباً للصلاة وباباً للصيام
فإنها تحوي باباً للنفقات، وقد كتب الدكتور وهبة الزحيلي
رحمه الله في كتابه الشهير الفقه الإسلامي وأدلته أزيد من ثمانين
صفحة تحت هذا العنوان.

لتعلموا أن نفقة أحداً على نفسه وأهله وولده طاعةٌ يتقرب بها
إلى حضرة الله تعالى، وأن تقصيره في ذلك مع استطاعته ذنب
يستوجب التوبة وتدارك ما فات من النفقات.

فضلاً عن الأهمية الكبيرة للنفقات في التكافل الاجتماعي إذ
يكفل بالنفقات أفراد الأسرة بعضهم بعضاً.

ولعني أستطيع اختصار ما جاء في باب النفقات ثمانين كلمات:

1- النفقة على النفس: يجب على الإنسان أن ينفق على نفسه إذا ملك، ويقدم ذلك على نفقة غيره، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول» أي بمن تجب عليك نفقته.

فلا يحل لرجل مقتدر أن يترك التداوي عند مرضه هروباً من النفقة، ولا يصح منه أن يظهر بمظهر الفقراء في ثوبه وطعامه وداره وقد أنعم الله عليه ووسع فإن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

2- النفقة على الزوجة: تجب على الإنسان النفقة على زوجته غنية كانت أو فقيرة، وليعلم أن اللقمة يرفعها إلى فم زوجته يكتب له فيها الأجر، أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ بها، حتى ما تجعلُ في فم امرأتك).

وتشمل النفقة على الزوجة الطعام والشراب والكساء والسكنى والخدام إن كان لمثلها خادم والتطبيب بالمعروف.

3- النفقة على الأولاد: تجب على الإنسان النفقة على

أبنائه الفقراء، الذكور حتى يصيروا كاسبين والإناث حتى يتزوجن. أخرج ابن ماجه عن سراقه بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أدلكم على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك، ليس لها كاسب غيرك" وأخرج الإمام الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ».

4- النفقة على الوالدين: تجب على الإنسان النفقة على

والديه الفقيرين وليعلم أنه في سعيه عليهما ساع في سبيل الله، أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، قال: مر بهم رجل فعجبوا من خلقه، فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله

عز وجل فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم: " إن كان يسعى على أبوين
شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على ولده
صبية فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليعفها
فهو في سبيل الله عز وجل "

وإن كان للوالدين الفقيرين عدد من الأبناء والبنات الأغنياء
تقاسموا بينهم نفقة والديهم بالتساوي. وليعلم الوالد الفار
من نفقة والديه أنه تارك لواجب أوجه الله عليه، وليعلم من
بر والديه بحسن نفقتهما أن المجازي له رب العالمين.

سألت يوماً رجلاً ثرياً أنعم الله عليه بالكثير من المال عن سر
ثروته؟ فقال لي: اللقمة التي أحبها أضعها في فم غيري،
خصوصاً أبي وأمي.

5- النفقة على الأصول والفروع: تجب على الإنسان

النفقة على الفقراء من الأجداد والجندات والأحفاد
والأسباط عند جمهور العلماء خلافاً لمالك.

6- النفقة على الحواشي: تجب على الإنسان النفقة على

أرحامه الفقراء مع اتحاد الدين من المحارم عند الحنفية أو من
الوارثين عند الحنابلة. كالإخوة والأخوات وأولادهما،
والأعمام والعمات والأخوال والخالات. أخرج الإمام أحمد
عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ أَنْقَقَ عَلَى
ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، أَوْ ذَوَاتِي قَرَابَةٍ، يَحْتَسِبُ النَّقَّةَ عَلَيْهِمَا،
حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَكْفِيَهُمَا، كَانَتْ لَهُ
سِتْرًا مِنَ النَّارِ "

حدثني أحد الإخوة الشباب يقول: جرى الله عمي عنا كل
خير، لقد أخبر جميع أفراد عائلتنا بأنه سيتكفل بالنفقة على
كل طالب علم أو طالبة من أفراد العائلة ما دام ملتزماً درب
العلم، فهو يدفع لنا أقساط المدارس والجامعات ويتولى

تكاليف الكتب والقرطاسية مع مصروف شهري لطل طالب علم في العائلة.

7- النفقة على غير الإنسان: تجب على الإنسان النفقة
على كل حيوان أو نبات ملكه، وتجب النفقة التي أوجبها على نفسه كالنذر أو أوجبها الله عليه كالزكاة.

8- فائدة: جميع ما سبق هو في النفقات الواجبة، وأما
النفقة المسنونة فالتوسعة على الأهل والإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيغان والصدقات ونحو ذلك.

وأما النفقة المكروهة فما فيه سرف. وأما المحرمة فالنفقة على المعاصي والأذى والتبذير.

أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ

تَصَدَّقَتْ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا
أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»

فمن أنفق على أهله بالمعروف فقد أَرْضَى ربه، وأكرم رحمه،
وتعرض لرحمات الله وعوضه.

أخرج الإمام مسلم في باب الحث على النفقة وتبشير المنفق،
حديث رسول الله عن رب العزة جل جلاله أنه قال: (يا ابن آدم
أنفق أنفق عليك) في بشارة للمنفق بالعوض والخلف.

وأخرجه البخاري في باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا
كَلَامَ} [الفتح: 15] يريد البخاري أن يقول إن ما جاء في حديث
أنفق أنفق عليك كلام الله الذي لا يتبدل فهو حق ثابت لا يتغير
ولا يزول.

جاء في فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ("يا ابن آدم أنفق أنفق عليك" - أي لا تخش نفاذ ما لديك، فالله هو الرزاق ابتداءً، والرزاق حالاً واستقبالاً. خزائنه لا تنفذ".

وقد تواترت القصص الواقعية في الماضي والحاضر على إنفاق الله على من أنفق ومضاعفة النفقة له أضعافاً كثيرة.

جاء في الكواكب الدراري شرح البخاري: "أنفق" أي على عباد الله "ينفق الله عليك" أي يعطيك خلفه بل أكثر منه أضعافاً مضاعفة، يُحكى عن رجل أنه تصدق برغيفين محتاجاً إليهما، فبعث بعض أصحابه إليه سفرة فيها إدام وثمانية عشر رغيفاً، فقال لحاملها: أين الرغيفان الآخران! قال: كنت محتاجاً فأخذتهما في الطريق منها، فقليل له: كيف عرفت أنها كانت عشرين، قال: من قول الله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام: 160].

أيها الإخوة:

إن الله تعالى وعد المنفق بأنه سيخلف عليه أضعافاً كثيرة في الدنيا قبل الآخرة: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245] ، {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبا: 39].

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

وإن النفقات واحدة من الآليات القوية في التكافل الاجتماعي في الإسلام تنفع الفرد وتشد أواصر المجتمع وتقوي جماعته. فيا طوبى لمن طابت بها نفسه، ولم يتبعها بالمن والأذى. والحمد لله رب العالمين